
ذو النون أيوب
الرسائل المنسية

ذو النون أيوب

الرسائل المنسية

قصة في رسائل

مطبعة اللواء ـ بغداد
تلفون : ٦٦٥١

دار اللواء للنشر والطباعة والتجارة



إهداء

إلى السيدة التي إليها انتسب بالتزام أكرم زوجة

إلى زوجتي ...



تمهيد

القت دوحة اليوكالبتوس ظلا على بساط الحديقة السندسي ، تكاثف بعضه حتى حجب أشعة الشمس الكاوية ، وتفرق بعضه يطرز ذلك البساط .

كان النسيم يهب شديداً في غير ازعاج طوراً ، ورخياً مريحاً طوراً ، فيضفي على الجو لطفاً وعلى الظل نعومة .

كان الوقت عصراً ، والفصل صيفاً ، ومدينة الرمادي ، تلك القرية الكبيرة على حافة الصحراء ، قد خف حرها ، فليس ثمة أثر للسموم المحرقة .

وراقني ان اقرأ ، فتناولت ما سقط تحت يدي من كتب اصطحبتها لتعينني على قتل الوقت في تلك المدينة الميتة .

كنت مرسلا بمهمة رسمية لا تقل سخافة عن عملي الذي أعيش منه .

تناولت كتاباً لا على التعيين ، الحب الأول لترجنيف ، قرأت صحيفتين ، وبالرغم من حبي لآثار ترجنيف ، وجدت أن حفيف اغصان الدوحة يلهيني عن القراءة ، فادركت انني في فترة من تلك الفترات التي لا استطيع فيها القراءة ، وذلك حين تكتسحني حمى الرغبة في الكتابة ، ولكن ماذا عساني أكتب ؟ بعد أن صممت عن تطليق الأدب ، وحاولت أن اقنع نفسي بأني غير صالح لهذه المهمة الجليلة . لقد ترك المتأدبون والنقاد ، بل وحتى الأصدقاء والأنصار اسوأ الآثار في نفسي

بحملاتهم المغرضة وبسخف انتقاداتهم ، وبالافراط في المدح والثناء ، كل ذلك كان في غير محله . هوذا أنا غير قادر على القراءة ولا الكتابة ، فما العمل ؟ وشعرت بالضجر وما يعقبه من سأم وقد أصبح هذا النوع من السأم ينتابني كثيراً وقد يتفاقم حتى يتعسني ، فاستعين عليه عند ذاك بالخمرة ، اغلبها تارة وتغلبني اخرى ، ولكنها تنسيني نفسي ، على كل حال ، الى حين .

ولكن الزمان والمكان ليسا مكانها ولا زمانها ، إذ أنا وسط تلاميذ مساكين ، يقتلون الليل والنهار في الدرس لاجتياز محنة الامتحان ، تلك المحنة التي كلفت ان اقبض على زمامها بيد من حديد ، بالرغم عن عدم ايماني بالأمتحانات وما يشبهها من مسابقات ومنافسات . ولعل من أوكل الي هذه المهمة يعلم بان في سلوكي سخف اجباري لا استطيع ان اتعداه او اتحداه ، فاطمأن الى اني سأقوم بما يسميه هو ، واسميه أنا ايضاً ، واجباً رسمياً ، على أتم وجه ، على الرغم من نزواتي وهفواتي .

اذن فما العمل ؟ اللعنة على السخفاء والسخافات ومن اوجدها .

ونهضت متثاقلا فدخلت غرفتي ، وفتحت حقيبتي ، والقيت بترجنيف ، احتراماً له لا صداً عنه ، وقلبت ما في الحقيبة من كتب مبعثرة وملابس نظيفة ، وقذرة ، ولكن ما هذا الظرف الضخم ؟ وتذكرت ، ولا أدري كيف خطر ببالي ان أحشر هذا الظرف بين الكتب ، ورضيت عن نفسي بعض الرضى ، لماذا لا أحاول قراءة محتويات هذا الظرف .

يحوي هذا الظرف رسائل غرام كتبها صديق قديم اسمه عارف . صديق كنت مولعاً باطواره ، ولست أجد من يشبهه الآن ، أما لانقراض امثاله ،

او لتقدمي أنا في السن ، فأنا في دور الوقار في نظر بعض المجانين الذين يحسبون انهم يحسنون الي باسباغهم كفنه علي ، وتقديمي الى القبر بكل اجلال واحترام .

وسر ولعي بهذا الصديق كسر ولعي بغيره من شواذ الدنيا وغرائب أنواع بني الانسان ، فهو طائش ماجن ، عاقل حكيم مسرف مقتر ، محب كاره ، يسمو الى السماء السابعة ، ثم ينحط الى الدركة السابعة من الأرض ، كل ذلك في آن واحد . واني لأجل السر في طباعه هذه ، كما أجهل لم كانت السماء ذات سبع درجات والأرض ذات سبع دركات .

ولست أعلم عن هذا الصديق شيئاً ، فقد هجر البلاد بعد الحرب الى جهة مجهولة دون أن يخبر أهله وذويه وحتى اصدقاءه ، ولم يخلف وراءه غير هذا الظرف الضخم الذي تكرم فعنونه باسمي ، وتركه لدى زوجته التي هرب منها دون سبب وجيه . فلما طالت غيبته ، يئست من رجوعه ، فقد كانت عليمة بنزواته ، وبحثت في مخلفاته فلم تجد غير هذا الظرف يحمل عنواني ، فحملته الي حائرة ، وقالت ، وهي تسلمه لي : « هاك كل ما ترك وأحمد الله على انه لم ينجب اطفالا ، ولعلك تجد في هذه الرسائل ما يفسر سلوكه الغامض ، ولست ألح في تقصي اخباره فغيابه خير من وجوده ، ولا أظنك تخالفني . اني لا أحقد عليه على الرغم من سيئاته ، ولا أدرك في الحقيقة السبب في ذلك وقد تعلم السبب أنت . »

فاجبتها ضاحكاً : « لا يعلم السر في ذلك إلا علام الغيوب . »

وتناولت الظرف ففتحته ، فتناثرت منه قصاصات صغيرة ، وأخرى كبيرة ، محشوة حشواً ، وتناولت قصاصة من تلك القصاصات وشرعت

اقرؤها بصوت مرتفع . كانت رسالة غرامية قصيرة لا تحمل امضاءاً ولا تاريخاً ، ونظرت بعد ذلك في وجه الزوجة مستوضحاً ، فابتسمت وقالت : « ما كنت اظن انه يستطيع ان يكتب رسالة غرام ، ولم استلم منه رسالة من هذا النوع طوال عمري معه ، كيف اسعفه طبعه الجاف على أن يخط ما كان يسميه عبث المجانين وهذر المخبولين ؟ لعل هذه الرسالة من آثار غرامه الأخير قبل أن يبني بي ؟ اذا كانت كل الرسائل على شاكلة هذه ، فهي مجموعة وهذيان قد تستطيبونه انتم معشر الأدباء . لقد نفضت يدي منه كما تعلم ، وهذه آخر ما يذكرني به ، فبارك الله لك فيها . »

فأجبتها : « ان الظرف الأن لا يلائمه ، ولعله لم يحسب انها ستتأخر مثل هذه المدة الطويلة ، فتقع في يدي وأنا في حالة نفسية وفكرية لا تتقبل مثل هذه الغرائب والنوادر . »

فقالت وهي تتأهب للانصراف : « ذلك ايضاً من جملة حماقاته ، إذ انه لم يخبرني حتى بلزوم ارسال هذا الظرف اليك ، ولو لم اعثر عليه صدفة لما قدر لك أن ترى هذه الرسائل قط . »

هكذا وصلت الي هذه الرسائل ، وما كنت قد قرأتها حتى تلك الساعة ، وقلت لنفسي لعل فيها ما يذهب عني السأم ، فاخذتها ورجعت الى الظل فوجدت البستاني يرش الزرع ويسقي الأزهار ، وكان ظل الدوحة قد انحسر فحل محله فيء الجدار ، وكان البستاني ينقل الكراسي الى الظل ، فحملت المنضدة الصغيرة وتبعت الظل . وقال البستاني محتجباً : « أنا أحملها يا بيك » فاجبته مطمئناً : « لا عليك فانا قادر على حملها كما ترى . »

وفتحت الرسائل وشرعت اقرؤها حسب ترتيبها في الظرف لخلوها مما يشير الى الزمان والمكان ، ونجح ذلك الصديق حيث خبت أنا وترجنيف واستغرقت في القراءة ملهوفاً فالهتني عن كل حفيف وزفيف ، بل الهتني حتى عن الزوار المتقاطرين الذين أعتادوا أن يتخذوا من تلك الحديقة ندوة لهم ، والهتني عن مدير المعارف وقصته العجيبة عن متصرف اللواء تلك القصة التي دأب على ترديدها ، فقد غضب عليه متصرف اللواء فامر بقطع خط التلفون عنه ، ولما لم تجد دائرة البريد ان في قدرتها أن تفعل ذلك استعان عليها بالشرطة ، والهتني عن سلسلة الأنتقادات المملة التي دأب المعلمون على ترديدها ، والتي تبدأ بوزارة المعارف وتنتهي برئاسة الوزارة ، بل قد تصل الى البلاط والملك .

كنت قد وضعت الرسائل بين دفتي كتاب ، تجنباً للفضول ، لقد نجح عارف حيث خاب ترجنيف ، فواهاً له من صديق صدوق ، وعاودتني عاطفة مما كنت أكنه لهذا الصديق النافع في الملمات .

ولم أقف عند حد الانتهاء من قراءتها ، بل صممت على أن اسرقها أيضاً ، فلا أبذل من الجهد أكثر من أن اصنفها ، ثم ارتبها دون زيادة او نقصان ، واسميها قصة عنوانها « الرسائل المنسية » ، ثم اطبعها واقول لمن يتساءل ـ لماذا لا يكتب هـذا الذي يسمي نفسه أديباً ـ قصة غرامية ؟ . هاك قصة غرامية ـ ولعل اعترافي هذا سيخفف عبء الجرم الأدبي .

بقي علي أن اذكر سبب استمتاعي بقراءة هذه الرسائل ، فقـــد لا يستمتع غيري من القراء بقراءتها . لقد اعجبتني لأنها واقعية ، ولأنهـا

تختلف عن كل ما قد قرأته في هذا الموضوع ، ولأنها تحوي من التحليل ما لا تحويه الرسائل الغرامية ، ولأنها تكشف عن عواطف متناقضة لا تجد لها مثيلا إلا عند اولئك الذين يطلقون انفسهم على السجية فيصرحون بما يجول في اعماق نفوسهم وبواطن عقولهم تصريحاً لا يتحكم به عرف او تقليد ، فهو انطلاقاً يزيح الأستار عن النفس البشرية ، فيعطيك صورة جلية عن مكنونات اسرارها ، واخيراً لأنها رسائل غرام كتبها انسان ما كنت اعلم انه من أهل الغرام .

القسم الأول

الشرك المسحور

« هذا شرك مسحور ، يدرك المقترب منه أخطاره ، الا انه يتدافع اليه مسرورا ، ويقع فيه مختارا . »

— ١ —

عزيزتي

أرسل اليك مع الرسول خيرة الأسطوانات الكلاسيكية التي أحبها وكتاباً للمازني « ابراهيم الكاتب » وعن هذا الكتاب أحب ان اتحدث اليك قليلا .

يبسط المازني في قصته هذه آراءاً في الحب قد تكون آراءه الخاصة وسواء أكانت هذه الآراء آراءه ام آراء غيره ، فاني أراها جديرة بالأهتمام .

يروي لك المازني بحديثه الشهي الساخر ، خبر كاتب أديب ، في طباعه كبرياء وانفة ، أحب عدة نساء بفترة وجيزة بل بزمن يكاد أن يكون واحداً ، فاتسع قلبه الكبير لهن جميعاً ، أمر لا يعترف به شعراء الوجدان ، ولا الموحدون في الحب . وسترين ان هذا الحب فائر ملتهب ، كله ، يرتكز على أقوى دعائم الوله والأخلاص . فاذا اشكل عليك فهم ما أقول فما عليك إلا ان تقرأي الكتاب ، وستفهمين منه أكثر مما فهمت من هذا التقريض الموجز .

اما أنا فليس لي رأي خاص في نظريات الكاتب وآرائه ، ولكني استسيغ منطقه ، وأطرب لما يسرد من حوادث .

اني لما احب احداً ، كما تعلمين ، غير اني استشف في اعماق نفسي طوارىء جديدة غير مألوفة . ان هذه الطوارىء تحيرني ، وأخشى أن تكون طلائع عاصفة عاطفية ستثور بين جوانحي ، ولست أخشاها ، فلعلها تكتسح من نفسي كل الشوائب .

لقد قرأت ابراهيم الكاتب اكثر من مرة ، ولعله يعجبك كما اعجبني ، هذا اذا لم تكوني قد قرأته حتى الآن . . .

لا يقل شوقي لرؤياك عن شوقك لرؤياي ، وكم أرد أن يكون لدى من الفراغ ما أقضيه بقربك . أنا غارق في العمل ، وسأنتظرك في الوقت الذي عينته برسالتك في داري بفارغ الصبر . أرجو الا تزعجك هذه الرسالة الغرامية القصيرة ، ولك أن تضحكي من صغر حجمها ورداءة خطها .

قبلاتي الحارة .

— ٢ —

سيدتي

يسوءني ألا البي دعوتك في الحال ، إذ اني منهمك في العمل ، وقد رآني رسولك وأنا على تلك الحال ، ولك أن تسأليه . ولكني سأكون عندك فور انتهائي من العمل الذي بين يدي ، وقد لا يستغرق ذلك أكثر من ساعتين ، ابشرك بان مشكلة البحث عن دارنا المقبلة قد انتهت . فبعد بحث طويل ، وتوسط عدد من الدلالين كبير ، عثرت على الدار المنشودة التي تتوفر فيها الشروط التي أردناها ، إذ بالرغم من تواضعها وقناعتنا لم أجد ما يرضينا إلا بعد جهد جهيد . الدار جميلة نظيفه أنيقة ، في حي هادىء ، وسط جيرة لها ذوق عال ووقار ، وفي جهة وجيهة .

لقد عرف سائق سيارتكم موقع الدار ، وسيقلك اليها ، وستريتها وتقبلينها ، ولا أشك في ذلك ، ولك أن تضعي خططك عن الستائر والأثاث وغير ذلك فذوقك أرقى من أن يعترض عليه مثلي .

سأزورك هذه الليلة . اشواقي الحارة . والى اللقاء .

— ٣ —

صديقتي

علمت من رسالتك الأخيرة انك قد ازمعت السفر صحبة صديقاتك للنزهة في بعض الضواحي . ولم أجد ما يشغلني هذا اليوم فجلست أفكر ، وكان محور تفكيري أموراً ثلاثة ، أنت ، وحبنا ، وزواجنا المقبل . لقد عاودتني ذكريات ، واكتسحتني افكار ، وثارت في نفسي عواطف ، واخيراً فقدت السيطرة على نفسي فكتبت لك الاعترافات التي ستقرأينها في هذه الرسالة . اما الدافع الى ذلك فلا اعرفه . وسواء أكان نبيلا أم حقيراً فان ذلك لا يعنيني ، كل ما أعلم ان اعتقاداً راسخاً قد الهمني ان هذه الأعترافات ضرورية لك ولي ولمستقبلنا فاحمليها على أي محمل أردت .

أعترف لك ، أولا ، باني لست كالمحبين الذين كثيراً ما سمعت عنهم اخباراً وقرأت قصصاً . أولئك الذين يفرحون عند ذكر اسم المحبوب ، وتذكر شخصه فأنا ، أغلب الأحيان ، أجد ضيقاً عندما اتذكرك . وكثيراً ما شعرت وأنت معي ، باني أتحمل أمراً صعباً غير طبيعي إلا في فترات الاندماج التام ، فأنا أشعر آنذاك فقط ، بخدر مريح لذيذ ، فهل المحبون كذلك ؟ ولماذا لم أسمع بمثل هذا قبلا ؟

وأعترف لك ، ثانياً ، بان نساءاً كثيراً ما يصادفنني عرضاً في الشارع او السينما او في أي محل آخر . فاشعر باني أتطلع فيهن وتهفو نفسي اليهن ، كما أتطلع فيك وتهفو نفسي اليك . فاين هو الذوبان في شخصية المحبوب ؟ وهل غيري من المحبين مثلي في هذا الشأن ؟ اني لأستبعد ذلك .

وأعترف لك ، ثالثاً ، وهذا اعتراف تقشعر لهوله ابدان المخلصين في الحب . فاستعدي لسماعه . لقد تركتك ، بعد جلسة حب عنيف مرة ، وعواطفي الملتهبة في أشد اشتعالها ، فالتجأت الى بعض محلات اللهو ، واطفأت ذلك اللهيب مع نساء رخيصات يختلفن عنك كل الأختلاف ، وما دخل في روعي قط ان في ذلك خيانة لك ، بل وما شعرت بفتور في حبي لك ، وقد تكررت هذه الحادثة أكثر من مرة .

وأعترف لك رابعاً ، ان المحب الصادق ، كما أعلم ، يتباهى بمن يحب ، مهما كانت منزلته الأجتماعية والأدبية ، أما أنا فانظر نظرة ارتياب الى ارتفاع طبقتك الأجتماعيه عن طبقتي ، على الرغم من تنويهك أكثر من مرة ، باني أرفع منك فكراً وعقلا ، حتى صرت أكره أن ينوه صديق او قريب بخبر زواجنا المقبل .

وأرى ، خامساً ، ان المحب يكون غيوراً ، وهذا ما لم أشعر به قط . لقد اطلعتني على الرسائل الغراميه التي كتبها لك محبون سابقون ، فلم تبادليهم الحب ، وما شعرت إلا انك كنت قاسيه على البعض منهم ، وكم كنت أتمنى لو انك بادلت هذا البعض حباً بحب . ولو علمت الآن بأن محباً جديداً قد أشغلك عني لتلقيت هذا الخبر بكل سرور وارتياح .

وسادساً ، لقد رغبت في انهاء العلاقات بيننا عدة مرات ، فوضعت حوائل كثيرة بيني وبينك ، منها الأقتصادي ومنها الأجتماعي وقد أعترفت لك مرة بكل ما مضى من علاقاتي الغراميه ، بغية تنفيرك وابعادك ولكنك كنت تزدادين رغبة فيّ وتهالكا عليّ فتفلين سلاحي . لقد كنت تردين عليّ بأن هذا هو شأن الرجال جميعاً ، والأقوياء الأشداء منهم على

الأخص ، وكنت ترين ان شدة لهفتي عليك أحياناً أكبر دليل على صدق حبي لك ، ولكنك ما كنت تعلمين اني كذلك مع النساء جميعاً ، وقد يصعقك اعترافي بأن غيرك كان يرتفع على أمواج عواطفي اكثر كثيراً مما كنت ترتفعين ، وحتى في دور الخطوبة . وكم هتف شيطاني يحرضني على ان أمر بك كما مررت بالأخريات ويحذرني من القيد الذي لا أقدر عليه ، أنا أعلم اني قد أجن لو وقعت في الشرك ، ورأيت نفسي غير قادر على الخلاص ، وقد اضحي بجزء من ذاتي آنذاك في سبيل الفرار ، كما يقطع الثعلب يده بفمه لينجو من الشرك اذا ما أطبق عليها . وكم خرجت من دارك وأنا مريض الأعصاب ، مضطرب النفس ، أشعر بأني قد أتيت بزيارتك امراً فرياً ، مع انك زوجتي المقبلة ، وأخيراً ، يتنازل المحبون عن كل غال عندهم في سبيل المحبوب ، ولا أراني قادراً على تغيير أبسط أساليب حياتي وأفكاري في سبيلك . فهل كل ذلك مما يدخل في باب الحب ؟ اللهم لا . اذن فالفرار قبل هبوب العاصفة .

— ٤ —

سيدتي

بلغني انك الآن مريضة مدنفة ، وانه قد أغمي عليك عند قراءة اعترافاتي . أصحيح هذا ؟ أود لو كان الخبر كاذباً . وارجو أن تكوني في صحة وعافية ، وأخشى والله أن اكون قد اسأت اليك اكثر مما قدرت .

انى الآن خجل من نفسى احمل تأنيب الضمير ، فقد توهمت ان لك عقلا يتلقى الحقائق ببرود وهدوء ، كما أفعل أنا ، فطاش سهمي ، وأنا المذنب . اني تحت أمرك فى كل ما تقررين ، فلك أن تصرمي حبل ودك ، ولك أن تصليه ، اذا رأيت أن قطع العلاقات يسبب لك ألمـــاً لا تستطيعين احتماله ، وكل ما أطلبه حينئذ ألا تلحي فى الالتصاق بي إذ اني بعض الأحيان شرس لا تحتمل شراسته . وقد يسرك ان تعلمي انك أول فتاة أراني مجبراً على أن ارعاها ، وأحاول أن أريحها ما أستطعت وان أبعد عنها كل ما يسبب لها ألماً او ضيقاً .

اذا رأيت بعد كل ما ذكرت ، انك لا تستطيعين ان تنأي عني ، فلك أن تقترحي ما تشائين ، أما الزواج فما أسهله ، وكنت أخشى أن يؤذيك أكثر مما يؤذيني ، وها أنذا بانتظار اشارتك .

سها . . .

ها قد خلوت الى نفسي مرة اخرى ، وحضرني شيطاني الذي أخاف منه عليك ، ولا قدرة لي على رد ما سيمليه عليّ .

اني أعلم انها ضربات ستكال لك ، ولكنها قدر محتوم لا مناص منه ، فاذا ما كتمت ما في نفسي فقد ينفجر فيها وينسفها نسفاً . أي سها ، لا أعلم كيف ساقك سوء طالعك وطالعي أيضاً ، الى أن نلتقي ، ولا أدري لماذا أنا كما ترين ، لأعذبك وأتعذب أكثر منك ، انه قصاص هائل قد حق عليّ ، وليس ثمة ما هو أشد علي من أن أربط بيني وبينك بهذا الرباط الذي يسمونه مقدساً ، اني أرى باني اشقى مخلوق على وجه البسيطة .

أي سها ، اني لا أحبك ، ولا أشعر بميل اليك ، بل ولا أعجب بك ، ولكني أشعر بعطف عليك يقيدني الى حد الموت ، وكل ما أخشى هو أن أثور يوماً على القيد الذي كبلني فيتلاشى هذا العطف ، فتتحطمين .

انك لا زلت تصرين ، رغم كل ما ذكرت ، بأني أحبك ، واني أخدع نفسي ، كما تقولين ، ولعل هذا هو الذي جعلك تتعلقين بي كل هـذا التعلق ، ولكني أرى ان غرابة أطواري هي التي أثارت فضولك ، ثم تسلطت على مشاعرك ، ولا شيء غير ذلك .

انك حساسة رقيقة ، ومن الخطر على من كان مثلك أن يكون تحت رحمة مجنون مثلي ، فليست نزواتي هذه ، شئت ام ابيت ، إلا الجنون بعينه . انج بنفسك سها ، انج ، وإلا سقطت عليك اللعنة بدخولك في حياتي ، والتي أرى بانها ستقضي علينا معاً . اني أكره الحياة ولا أحبها

ومن المستحيل ان أتخلص من أفكاري السوداوية ، وأنجو من عذابها . لقد ظننت ان وجودك معي واحتمال وقوعي في حبك سيخلصني من هذا المرض القتال ، ولكن يا لها من تجربة فاشلة .

اني اعتقد ان الشيطان هو الذي خلقني وليس الله . واذا كان ثمة إلاه يخلق أمثالي ، فلا بد أن يكون إلاهاً قاسياً يستحق الكره والأحتقار .

لا تغالطي وتصري على اعتقادك بأني أحبك ، وخير لك أن تعترفي بالواقع . اني أحطم قيد الزواج عنك وأطلقك من هـــذا العقال غير المعقول ، وأرجو أن تعودي مرحة ضحوكة لعوباً كما كنت ، وليكن الله في عونك .

كوني فتاة عاقلة حازمة ، وتأكدي بأن هذه فرصتك الأخيرة للنجاة بنفسك ، أما أنا فسأذهب الى حيث لا تعلمين ، ولعلي سأهدأ قليلا حينذاك واستريح من تباريح هذا العذاب . اني على استعداد لأن اعينك على السلوان ، ولكني أجهل السبيل الى ذلك ، فهل عندك ما تقترحينه في هذا الشأن ؟ لك أن تكتمي ما في هذه الرسالة ، وسأكتمها أنا أيضاً ، فلا أحد غيري وغيرك يعلم خبر هذه العواطف المتناقضة المتضاربة الثائرة في نفسينا . كل ما تطلبين مجاب إلا اجتماعنا .

يجب ألا يتبادر الى ذهنك بأني أكرهك ، فالحقيقة ليست كذلك ،

اني لا أحبك ولكني لا أريد أن أكرهك أيضاً ، ولعلي أروم البعد عنك لهذا السبب .

تصرفي بمنزلي وبأثاثه وبكل ما أملك من حطام ، وأعتبري نفسك وريثة رجل ميت ، ولا تحاولي البحث عني فذلك خير لكلينا . شيء واحد لا تصدقيه اذا ما سمعته ، ذلك اني سأفكر بامرأة اخرى غيرك ، فقد عوقبت أكثر مما أستحق .

القسم الثاني

في الشرك

« يقع فى الشرك مختاراً ، ولا يلبث أن يثور ، مختلقاً الاسباب للبقاء متوهماً انه يفعل ذلك بغية الخلاص . »

— ١ —

ايتها السيدة ، زوجتي ، كما يقول القاضي ، أرى من الواجب ان أكتب لك ، بعد ما مضى على تركك دار الزوجية ، شهر كامل ، هاربة كما تظنين .

ان هذه آخر مماحكة بيننا ، حسب ظني ، ولست ممن يهاجمون من الخلف كما تفعلين ، ولكنك تعذرين فانت امرأة .

لقد كان زواجنا من ألفه الى يائه ، مهزلة كما تعلمين ، ولقد كنت صريحاً معك ، منتهى الصراحه ، بقدر ماكنت لئيمة معي منتهى اللؤم . لقد ظننت انك نلت ما تشتهين ، حتى ذقت طعم صيدك ، واني أترك لك فرصة أخرى لتدارك ما فاتك .

أكذب عليك لو قلت باني أكرهك ، وتكذبين على نفسك حين تتوهمين باني أحبك . انك وكل النساء في نظري سيان ، لا تفضل أحداكن الأخرى إلا بما تملك من عقل ، ومن صفات أخرى جسمية وعاطفية . ان من الرجال من يعجبه التافه من هذه الصفات ، فتأسره وتعمي بصيرته ، ومنهم من يعجبه العالي منها ، وقد يضيع رشده أيضاً ، وبين الرجال نوادر ، وأنا من هذا النوع ، يؤمنون بقول دستوئفسكي « لا تخلو أية امرأة مهما كان حظها من الجمال ، من ميزة او صفة انثوية تعجب الرجل » ولنترك الغيرة جانباً ، ولست أعني بكلامي اني أحب نساء الأرض قاطبة ، او اني أرغب في الاستيلاء على قلب كل حسناء تعترض طريقي ، فلست من السخف ان أشغل كل أوقاتي بهذا العبث ، وليس الرجل شهوة وحسب . وانما أردت ان ابين لك بانه ليس في استطاعة

امرأة ان تحقق حلمها الذي هو حلم كل بنات جنسها ، في وضع النير في عنق كما تفعل مع اي رجل ، وتتباهى امام بنات جنسها بالأسير الذي تمتلك ، وبالخروف الذي لا عقل له ولا ارادة .

بيننا الآن رابطة شرعية ، اي اننا مرخصون من قبل الله والناس ، في ممارسة العلاقات الجنسية ، مهما كان نوعها ، فالشرع والله والنـــاس ، لا يفرقون ، كما تعلمين ، بين العلاقات الجنسية الطبيعية الاختيارية المرغوبة المحبوبة ، التي تكون برغبة كلاالطرفين ، وبين تلك التي يقسر احد الطرفين عليها قسراً ، تلك التي هي اشد ضرراً على الجسم والنفس والأخلاق من البغاء والعادات السرية . وتعلمين ايضاً بأن العلاقات بيننا هي من النوع الأول ، ولعل هذا ما حدا بك الى الشروع في خططك النسائية ، ولما قطعت عليك الطريق بذلك البعاد غير المتوقع ، البعاد الفكري والجسمي ، رحت تزعمين ، وتذيعين زعمك هذا على الملأ ، باني رجل مجنون . ان رأي المجتمع يهمك ، بل هو كل شيء في حياتك ، اما انا فلا يهمني مثقال ذرة . ولما بلغ هجومك الذروة ، رأيت ان ارد على بعضه ، لاني وجدت ان السكوت المطلق حماقة . لقد كنت منصفاً لك ولنفسي في هذا الدفاع ، ولكن الحمقى الذين يهمك امرارضائهم عنك لم يفهموا دفاعي حق الفهم ، فصاغه كل بعقله كما اراد ، وفسره بما يحلو له ، فتألبوا ، وراحوا يصبون سخريتهم عليك ، فعدت احس الشفقة عليك ثانية ، وخصوصاً لما رأيت شدة شماتة الناس بك ، كأن بعضهم يضمر لك ثأراً ، او عداء لا اعلم سببه .

والآن عودي وحاسبي نفسك ، ماذا افدت من هذا الزواج ، وماذا

جنيت من تثقيل الصداق المتـأخر ؟ وكل الطرق الذموبة في تكبيل الرجل ؟ لقد كنت كمثيلاتك تحاولين تحويلي الى مسخ لا يفكر بغيرك وبغير النسل والبيت ، وكنت بذلك اسخف امرأة تحاول اخضاع اصلب الرجال واكثرهم عناداً .

لقد مضيت ترددين في دفاعك بانك تورطت بالاقتران برجل لا يستحق من هن ادنى منك كثيراً ، فهل تريدين ان انشر على الملأ رسائلي في تحذيرك ؟ لقد كنت تعلمين بأني ارفع من اهوى الى درك الرد عليك بالمثل ، ولهذا مضيت في طريقك غير خائفة من التكذيب والرد ، وهذا ما جعلني اشمئز منك . فان كنت ترومين اعادة المياه الى مجاريها فقللي بالله عليك مما يزيد في هذا الاشمئزاز .

لقد علمت الآن بانك كنت تبحثين عن زوج ، زوج وحسب ، وقد وقعت على عدد من الفرائس يشبهونك في الآراء والخلق وفي فلسفتهم في العلاقات بين الرجل والمرأة ، فحاول البعض ان يخدعك ، بل ولعله قد خدعك فعلا ، واجتهد آخرون ان يلاعبوك ولما كنت من نفس طينتهم ، ادركت مآربهم الخفية بيسر فهربت ، ولما رأيتني اختلف عن هؤلاء جد الاختلاف ، حسبت انك قد سقطت على صيد دسم ، فنصبت شراكك بسرعة ، متوهمة فيّ السذاجة والحمق ، وما كنت تدرين باني كنت على علم بكل ما يختلج في نفسك ويدور في رأسك الصغير ، بل واني قد اطلعت على شيء كثير من تفاصيل حياتك قبل الزواج ، دون ان اسعي الى ذلك او ابتغيه . لقد تبرع احد محبيك الاقدمين بتقديم الكثير من هذه المعلومات ، دون ان يسأل او يشكر . وكنت ادرك انه

يخلط الحقائق بالخيال لينال منك ، فرثيت لك ان تكوني موضع تفكير مثل هذا النوع المنحط من البشر .

لقد سعى الي قبل ان نرتبط بالعقد الشرعي ، بيومين ، جاء الى داري وكان وسيماً ، اشقر رشيقاً ، ولما جلس اخذت اطيل التدقيق في ملامحه الدقيقة ، وعينيه الساهمتين ، فاعجبتني وسامته ، ولا اعلم لم شرعت اقارن نصوع بياض بشرته ورقتها ، بخشونة بشرتي وسوادها ، ورقة محياه بصلابة ملامحي ، واحتفيت به واكرمته ، وما لبث ان فاتحني بقوله انه يعرفني عن بعد ، ويكن لي احتراماً ، وان غيرته على سمعتي دفعته الى مقابلتي ليدلي ببعض المعلومات السريه عن المرأة التي سأتزوجها ، لأكون على بصيرة ، فضحكت وقلت : « اني على بصيرة من امر هذه الفتاة ، وليس في استطاعة انسان ان يزيد في هذه البصيرة او يقلل منها مها كانت معلوماته ، فلك ، ان كنت ناصحاً ، ان تبصرها هي نفسها ، فأنا فى الواقع وسط شبهات ، إذ انا غير خال من الاتصال بنسوة كثيرات من عاهرات وانصاف عاهرات ، بالرغم من شكلي الذي لا يعجبك ، فهل تراني انا الذي يجب ان احذر منها ، ام هي التي يجب ان تحذر مني ؟ .

ففتح فاه دهشاً واجاب : « ولكنك رجل . »

فقلت : « انت مسلم كما اظن فهل يفرق الشرع في الجرم في هـذه الأحوال بين الجنسين . ؟ »

فاجاب : « لا ، ولكن التقاليد هي التي تفرق . »

فسألته : « تقاليد من ؟ »

فأجاب : « تقاليد مجتمعنا . »

فقلت : « يؤسفني ان اجد نفسي ارقى من هذه التقاليد وبخروجي عليها لا أجدني متجاوزاً أبسط شروط الدين الذي يتعصب له هذا المجتمع . »

فاستأذن وخرج ، ورأيت على وجهه ابتسامة استغراب واحتقار . ولم انقل لك هذا الحادث يوم وقوعه ، لئلا تظني بان صدوفي عنك هو وليد هذه السخافات . إذ أن الأسباب الحقيقية لذلك الصدوف ارقى جداً من هذه ، غير انها لم تصل الى ادراكك ولم يتأثر بها وجدانك . لأنك لا تستطيعين السمو فوق مستواك .

ولنعد الآن الى ما بدأنا به ، اريد أن اقول اني اكره كل انواع النزاع من اكبرها الى اصغرها ، اني اكره الحروب بين الامم واني لأشد كرهاً لها حين تقوم بين الافراد ، فاذا اردت ان ننفصل تمام الانفصال ، فلنفعل ذلك بدون حرب ولا قتال ، وانا مستعد لفصم ما ابرمنا . ولكن عليك ان تتذكري باني لا املك هذا الثمن الباهض لبضعة ايام قضيتها معك ، أي ما تسمينه بالمهر المؤجل ، وانه لعار عليك ان تطالبي بهذا الثمن ، فقد استفدت من هذا الوقت اكثر مما استفدت انا ، ولو كان عندي مثل هذا المبلغ ، لما بخلت به عليك على الرغم من شرائك العريض وفقري المدقع ، وكم جدت فيما مضى ، على من هم احط منك كثيراً باضعافه . وان رفضت ، كان ذلك دليلا على شدة تمسكك بي ورغبتك في الرجوع الي ، ولا مانع عنـــدي ، ولم انس سويعات اللذة وعذوبة الوصال ، ولكن حذار ان تجعلي حريتي وحرية عقلي وضميري ثمناً

لذلك . وان كنت استهين دفع الدراهم مادياً ، فلست استهين بهذا الثمن المعنوي .

اما ان كنت تبغين الانطلاق تحت ستار هذا القيد ، فانت بعملك هذا تعتدين على نفسك لا عليّ ، إذ انني ، من جهتي سأعتبره منفصماً ، فتصبحين غريبة عني تماماً ، ولا تخشي شراً .

— ٢ —

سيدتي سها

مشتاق اليك بعد هذا الغياب الطويل ، ولعدم وجود ما يشفي الغليل . لقد وصلني جوابك يمشي على رجلين ، ملتفاً بعباءة حذراً خائفاً ، ففتحت له الباب واستقبلته احسن استقبال ، ورحبت به اجمل ترحيب وجلس الجواب خائفا يترقب .

فقلت له : « كيف حالك يا منى ؟ ولماذا لا تزوريني ، ونحن اصدقاء ؟ الأن اختك غاضبة عليّ ؟ »

فقالت منى : « لقد جئت جواباً على رسالتك الاخيرة . لقد اغمي على اختي بعد قراءتها ، ولما عادت الى رشدها اخذت تندب سوء حظها وتقول : « انه يريد ان يتهمني في عرضي وعفافي ، لقد صار يختلق الأحاديث والأكاذيب . » لقد طلبت مني امي ان آتيك سراً ، واطلب منك ان تصارحنا وتعلمنا هل انت راغب بسها حقاً ؟ اتحبها وتريد أن تعود اليك ؟ »

فاجبتها : « انى احبهـــا ، اجل ولكن على طريقتي ، لا على طريقتها هي . »

ففغرت الصغيرة فاها دهشه وقالت : « وهل في الحب طرق شتى ؟ »

فضحكت واجبتهـا : « اجل يا صغيرتي ، وستعرفين ذلك في المستقبل . »

فتضاحكت الخبيثة ، وقالت : « ولكنها تحبك ، نحن نعلم ذلك ، وكل الناس يعلمون ، وهي مستعدة ان تفعل ما تريد ، فتطيعك

وتسير وراءك . »

فأجبتها : « الواقع اني لا اريد منها أكثر من التخلي عن مشروعها في محاوله وضع لجام في عنقي وسحبي وراءها . »

فبغتت ، وظنتني امزح وقالت : « مستحيل ، انك تمزح دون شك كيف تستطيع ، وهي الصغيرة اللطيفة ، ان تفعل ذلك برجل في مثل سنك وضخامة جسمك ؟ »

لقد بدت مني الصغيرة ، في نظري اكثر عقلا منك ، بالرغم من سذاجة حجتها . فلماذا بربك لا تتركين اخيلتك الجموحة في محولة اخضاع رجل مثلي ؟ لقد استدرجت مني لتنقل الى آراء اهلك وصديقاتك ، واصحابك في شخصي الكريم . فعلمت ان بعضهم يحذرك من العودة وقسم منهم يتهمني بمحاولة الاستفادة من وارداتك وثروتك ، وقسم يعتقد ان مصيري الى الجنون ، وبئس المصير . انك فخورة ، دون ريب بهذا العدد العديد من الأنصار . وقد ضحكت كثيراً لما علمت بان امك قصدت احد العرافين ، لتستعين به على اخراج الجان من عقلي ، وانا حائر في معرفة الطريق الذي سيسلكه هذا الجان عند خروجه ، واني لأنصحه بالخروج من اسفل ، ليذهب الى المرحاض رأساً مع افكار قومك وجهالتهم . وما دمت تبدين صلابة وعناداً فسأكون اشد عناداً وصلابة منك ، انشاء الله ، وعلى هذا فلا مجال لاعادة المياه الى مجاريها إلا بالشروط الآتية :

يجب ان تعتبري زواجنا علاقه طبيعية ، مبنية على الرغبة التامة في التفاهم والمعيشة المشتركة ، دون اقسار احد الطرفين على امر يكرهه .

فلا مهور مؤجلة ثقيلة ، ولا شروط في المعيشة تفرض فرضاً ، انما يجب ان تكون العلاقة بيننا طبيعية مطلقة ، فاذا ما مل احد الطرفين رفيقه ، او خمدت عاطفة حبه له ، ورأى في هـذه العلاقة ما ينغص عليه عيشه ، فعليه ان يصارح الطرف الآخر فوراً ، وعلى الطرف الآخر ان يتقبل الواقع ، ويكون اعلى نفساً من ان يفرض نفسه على الآخر فرضاً . واذا ما احب احد الطرفين شخصاً ثالثاً ، رجلا كان ام امرأة ، فما على الطرف الآخر إلا ان يحترم عواطف رفيقه فيفصم علاقته به (اي يطلقه) ، ويترك له العنان ليتصرف بحياته كما يشاء ، فحياة الانسان ملك ذاته ، غير قابلة للبيع او التأجير ، مهما غلا الثمن . وعليك ان تعلمي باني احتقر كل الاحتقار اولئك الذين يتدخلون في شؤوني الخاصة اصدقاء كانوا ام اقارب ، واني لأحتقر اكثر من ذلك ، من يقبل التدخل ، ويستسلم لتأثيراته ، فيفسد حياته ارضاء لميول غيره .

هذا ما ارى ، وما عليك إلا ان تتدبري امرك ، وتكوني انت الحكم على نفسك .

— ٣ —

سها المحترمة

ما هذا التعالي وما هذا الغلو في الكبرياء ، اتراك قد حسبتني لنت ، وأحرقني البعاد ، فمضيت تنأين وتتعالين ؟ مرحى لقد عدنا الى السخافات ، وأرى ان الأمل في اصلاحك وتقويم ما اعوج من عقلك ونفسك قد انعدم ، فما علي إلا أن انفض يدي منك بالمرة ، وحتى لو كنت دنفاً مدلهاً بحبك ، لما رضيت كبريائي ان أتراجع ، او بالأحرى ان انهزم مثل هذه الهزيمة النكراء . والحقيقة ان ليس ثمة تدله ولا هيام ، واذا كنت لم أستطع التأثير في اعماق نفسك فاني أعلن عجزي وأسفي .

تقولين متكبرة ، ان اشغالك ، واستعدادك ليوم القبول قد ألهتك عن الرد الفوري ، ولم تترك لك مجالا للتفكير ، فلما أنقضى اليوم المهم عندك ، لم تجدي في رسالتي ما يستحق التفكير ، لأنه يفرض عليك أن تكوني في عالم غير هذا العالم لا تعلمين ، متى تطردين منه الى هذا العالم ، وبكلمة أخرى أجد انك قد فضلت يوم قبولك على مستقبلك ، وخضعت لما يمليه عليك الغير ، دون أن تكون لك الثقة بنفسك ، والاعتماد على تفكيرك ، فلست أذن من احترم أولا ، ثم أحب . وأنت تعلمين ان عقلي مرتبط أشد الارتباط بقلبي . لقد قررت مصيرك ، فعلى نفسك جنيت والسلام .

القسم الثالث

بداية النهاية

« لا تدوم العواصف الى الابد ، ولابد أن يعقب العاصفة صفاء وهدوء ، وما ذلك الا مقدمة النهـاية . »

— ١ —

سها العزيزة

تسلمت رسالتك البليغة ، وأية رسالة ، لقد توهمت انها جواب على رسالتي الأخيرة ، ولما فتحت الظرف ، علمت ان الرسالة خاصة وما هي إلا كتاب عظيم الدلالة صغير الحجم ، هي صورتك فقط . وانها لرسالة ضافية مطولة ذات حواش وذيول ، تفيض بلاغة ورقة وعواطف ، او هكذا خيل لي على الأقل . وأبلغ ما في هذه الرسالة خلوها من أية كلمة او عبارة ، وحتى من التوقيع الخطي ، ولكنها مملوءة تواقيع . فهذا الشعر المنثور على الجبين توقيع لا يمكن تقليده ، وهذا الأنف الضخم شيئاً (لا تغضبي) توقيع خاص بصاحبته ، وتلكم النظرات توقيع آخر ، والابتسامة المشرقة التي لا يمكن محاكاتها ، وانهـــا لتعلو على كل التواقيع .

ورسالة حلوة كهذه ، ايتها العزيزة جديرة بان تذهب عني السأم في هذا البلد الساذج البليد ، سأقرأها صباح مساء ، سأقرأها كلما آلمتني الوحدة وكلما هاجت آلامي ، بل وكلما راق في عيني منظر جميل ، سأقرأها في كل حين وفي كل خلوة . وأخيراً أريد ان اترك هذا (اللغو) لحظة ، ولنر علام عولت ؟ وما هي خطتك ؟ لماذا لا تكتبين لي ؟ أتخافين ؟ حسناً اذا كان هذا هو السبب فاني أعدك برد رسائلك متى شئت ، وأنت تعلمين باني لا أكذب ، ولا أخلف وعداً .

هل تشعرين بالوحدة كما أشعر ؟ هل تفكرين بي بعض الأحيان ؟ او تحاولين ابعادي عن مخيلتك ؟ لا أدري ما يقول الخادم لنفسه عندما يرمي رسائلي في البريد ، عندما يجد اني لا أكتب لغير النساء ، بل لامرأة اسمها سها ، ان اللعين يحسن القراءة واللعنة على كل خادم يقرأ .

أكتبي لي شيئاً ولو لغواً ، إذ اني سأجد ذلك جميلا حتماً وهو مرسوم بذلك الخط الجميل على الورق الأزرق الأنيق .

— ٢ —

عزيزتي مدام فلوجة

هأنذا في الرمادي كما أخبرتك في رسالتي الســـابقة ، والى أمد لا أعلم أجله . لقد بدأت أعمالي الكئيبة المملة ، والتقيت الأوجه القاتمة البائسة المريضة ، فرثيت لك مقدماً ، ولكن مالي أذهب في الظن بعيداً ، لعلك مشتاقة الى القدوم ، لا تحسين بالسأم ما دمت قريبة من هذا الانسان غليظ الرقبة ، الذي يكثر من التقطيب عندما يقذف في وجهك كلمة (شنو) ولعله سيرضيك بالأكثار من التقطيب ، وترديد الشنو مرات ومرات ، إذ أنت كما عهدتك غريبة الأطوار .

لم أعلم مدى رغبة الدائرة في ابقائي في مدينة الرمادي ، ولعلك تعلمين أكثر مما أعلم ، فان كان الأمر كذلك فلا تبخلي عليّ بما تعلمين ، على أن يكون ذلك مكتوباً بحبر أزرق ، على ورق أزرق ، وبغلاف أزرق .

في البلدة وافدة من الزكام الحاد اوشك امرها ان ينقضي ، وشرها ان يزول ، إلا أن شدة حرصي على صحتك تجعلني أبالغ في خطورتها ، لكي تحجم الحبيبة عن المجيء ، ولو كان في انتظارها الف رقبة غليظة . أما وقد علمت ، فأرى انك سوف لا تحجمين عن القدوم ، وان انانية الحب قد تدفعني الى أن اتخيلك قد مرضت معي ، ففتكت بنا الحمى سوية ، وهدت مني القوى حتى أصبحت رقبتي نحيفة طويلة كرقبة النعامة ، وأتخيلك ، وأنت في بحران الحمى ، تبحثين ، دون جدوى ، عن الرقبة الغليظة وعن الوجه المقطب . فلا تجدين إلا وجهاً شاحباً ذابلا رقيقاً ، وجسماً لو توكأت عليه لانهدم ، وذراعين لا قوة فيهما ولا قدرة على

الضم . اما الحيوية والنشاط فقد ذهبا الى سقر (اصابه الله بشر من ذلك) وعندها ستندبين الحبيب الضائع وتبكيه ، ثم تعودين فتهددين قائلة : « اذا لم تعد كما كنت فسأستبدلك بآخر من الشبان (الجارمنك) فيخاف الحبيب ويبدأ يبتلع الهواء نافخاً نفسه حتى ينفجر ، ولا أعلم ما وراء ذلك . ولكن مالي لا استعين بتصويرك ، عله يساعدني على تصور حالتك آنذاك ؟ ان الوجه يبتسم بل يضحك ، ويضج بالضحك بصوت جرسي النغمة . لقد ساءني ان يسخر مني ، فقطبت وجهي وصحت به شنو . . . شنو . . . الى اللقاء ولكن أين ؟ أهدي تحياتي الى كل من يشتمني ، قولي له (خارف) يسلم .

— ٣ —

عزيزي . . .

كنت أنسج قصيدة ، وهذا ما أفعل كلما اجدني ثائر الأعصاب هائج النفس . اعتقد انها ستكون قصيدة جميلة ، فظروفي حرجة مؤلمة . ليست القصيدة اجتماعية سياسية ، عاقلة باردة ، بل هي قصيدة وجدانيه حارة ، تلتهب عاطفة ، وتفور حيوية ، كنفسي الثائرة هذه الساعة ، وكعواطفي الهائجة المكبوتة .

ودخل الخادم ، وبيده ظرف أزرق ، هو منك دون شك ، فرميت بكل ما بين يدي ، ومسح من ذهني كل تفكير . أخذته بلهفة ، قصاصة صغيرة زرقاء ، لا تسمن ولا تغني من جوع ، بدون عنوان ولا امضاء ، ومن يعلم سر شهرزاد ؟ ومرت بذهني سحابة من شك ، بدأت بيضاء صغيرة ، وما اسرع الشك الى كل من يتعلق بك ، وما لبثت السحابة ان استحالت غيوماً مدلهمة ، طبقات بعضها فوق بعض ، ذات بروق ورعود . لا امضاء ولا عنوان ، ماذا تقصد الخبيثة بذلك ؟ اما زالت سيئة الظن ، ولكن علام الحذر من جانبها ؟ وكيف استطيع ان اسيء اليها برسالة معنونة باسمي ، موقعة باسمها ؟ اتراها تخاف من حبيب آخر (جارمنك) ولم تعجبني تلك الظنون ، فوضعت رسالتك في حرز حريز . وعدت الى قصيدتي ابثها النجوى ، وشعرت بشيء من السلام .

امر واحد يحبب اليّ السكنى في هذه المدينة . ليس ثمة من يعرف قصتنا ، او يهمه أمرنا ، وليس ثمة من يشغلني عن التفكير بك وحدك ، ولا ما يمنعني عن مطالعة رسمك ، او التفوه باسمك كلما اردت . والأغرب

من كل ذلك ، هو اني لا أستسخف هذه العاطفة المتأججة نحوك ، كما كنت أفعل سابقاً . إذ أنني اشعر الآن بان السر هو سرنا ، يخصنا وحدنا ، وليس هنا فضولي يحاول أن يكدر هناءنا كالصبي الذي يحاول أن يكسر لعب غيره ، حين يجد انه لا يستطيع الأستحواذ عليها او امتلاك ما يماثلها . انتظر منك شيئاً أكثر من هذا ، وتكتسحني رغبة قاسية في رؤيتك ، حتى انني لأكره من يساكنوك ، إذ أنهم يتمتعون بوجودك بملء حريتهم ، وحتى خدمك ، وحشمك فى املاكك الطويلة العريضة . اما أنا فيعتبر حقي ثانوياً ، رغم الشرع ترى أين هو ذلك الشرع الذي كنت تتمسكين به سابقاً ؟ ولماذا لا تستعمليه الآن ؟ الست زوجاً بحكم الشرع ؟ سألتجيء اليه اذا ما ماطلت في اللقاء ، واصررت على أن تكيلي لي الهناء بالمثقال . ها أنت ذا تضحكين منتصرة ، متشفية ، إذ قد انقلبت الآية ، ولا بأس ، فاني أريد أن تضحكي .

سهاي العزيزة

ماذا أستطيع ان اعمل ؟ وبم اصرف هذا النشاط الذي لا أجد له سبباً ولا فائدة ، انه ملازمي هذا اليوم . اني اشعر هذه الساعة كأني اختنق بدمائي ، وان كل عضلة في جسمي قد توترت ، دون غرض او هدف ، حتى ان الدماء لتكاد تنبثق من جسدي انبثاقاً ، من خلاياي ، ومن تحت الأظافر ، ومن أنابيب الشعر . في مثل هذه الحالات أجدني سعيداً دونما سبب ، تملأ رأسي خواطر لذيذة جميلة ، لا اعرف لها صورة واضحة ، ولا سبباً معقولا ، وعندها يفارقني السأم ، ويولي عني الهم ، وتتخلى عني الأفكار السوداء ، إذ يخفق قلبي بعنف كأنه طبل من طبول الزنوج يضرب للرقص . ما ألذ هذا النسيم ، انه يداعب وجهي برفق كأنامل حسناء تداعب وجه حبيبها صبيحة يوم عرس . انه نسيم الصحراء قبيل مشرق الشمس ، اني ادرك الآن لم يحب بعض الناس الصحراء ، بل يتعشقونها ويجنون بها جنوناً .

إلا أن هذا النسيم الذي يشبه الرحيق لا يهدىء الأعصاب المتيقظة ، إذ لا أكاد املأ به صدري حتى أشعر بأن في استطاعتي طحن الصخور واحتضان العالم . لقد انتهيت من رياضتي اليومية ، وأعقبتها بدش بارد ، ومضيت املأ صدري بهذا النسيم المنعش ، اني لأشعر بان النار تجري في عروقي ولكن هباته المترفقة تحمل عني شيئاً من سعيري . أريد ان أقوم بشيء غير الذهاب والأياب في غرفتي الضيقة ، وغير التحدث الى نفسي ، فماذا أفعل ؟

أريد ان أتحدث الى انسان ما ، ومن هو هذا الذي سأنصب على رأسه بهذا السيل ؟ أهذا الخادم البليد الذي يتطلع الى بخوف واحترام واستغراب ؟ ام جاري الموصلي الذي اعتاد ان يضايقني بسفاسفه وسخافاته ؟ بروايته لي في كل فرصة ما فعله فيما مضى ، وما ينوي أن يفعل في المستقبل ؟

أريد ان اتحدث الى صديق ، دون كلفة ، أريد ان ابرز الى الوجود ما يدور في رأسي من خواطر وآراء ، بل وحتى بالسفاسف والسخافات.

ولكن لمن ؟ لا أدري لماذا تخطرين في بالي في مثل هذه الظروف ، مع علمي بانك لا تحتملين مثل هذه الأحاديث ، ولكنك أجدر من غيرك حتماً بسماعها ، فعليك ان تحتملي هذه النكبة ، وتصبري عليها صبر الكرام.

لقد صبرت كثيراً ، واي حديث تكون مقدمته بمثل هذا الطول ؟ اللهم سترك ، ولكن لك أملا ضعيفاً في الخلاص ، فقد أمزق هذه الرسالة ، قبل ارسالها اليك ، كما افعل اغلب الأحيان.

لقد قمت بنزهة استغرقت خمس عشرة دقيقة ، قضيتها متمشياً في الشارع الوحيد في هذه البلدة ، وانه لجميل باشجاره ، ولقد كنت سعيداً بوحدتي أحاور نفسي واجادلها فلا يعكر علينا صفو حديثنا فضولي قد يتساءل من هذا الذي يبكر في مثل ذلك الوقت ، ويخرج للتمشي ، وزاد من سعادتي معرفتي باني اكاد ان اكون غير معروف في هذه البلدة الهادئة النائية . كم اود ان اعيش في بلد يفرض عقوبة على من يريد التعرف بغيره .

لقد قطعت الشارع كله حتى وصلت الى تخوم الصحراء ، ثم قفلت راجعاً مرحاً مسروراً ، ولكن هذا الصفو ما لبث ان تكدر لقد مر بي

ثلاثة من عمال الطرق ، كان احدهم يغني غنـــاء ما سمعت احلى منه ، واحببت ان امر بهم دون ان اشعرهم بوجودي ، لكيلا اكدر عليهم بوجودي ، صفو شعورهم بلذة النسيم وجمـــال الصباح ولكن لا منـــاص ، ها هو النغم الجميل قد انقطع ، ليستبدل بالسلام على البيك ، المهندس الجديد . اللعنة ، كيف استطيع ان افهمهم باني مستاء من التدخل في صفوهم ، واني كنت افضل ان يستمروا في الغناء وباني لا اهتم بسلامهم ، لماذا فعل السخفاء ذلك ؟

بدأت الحياة تدب في المدينة ، ولا بد ان يزدحم المقهى الكبير على الطريق عما قريب بالزبائن . بدأت اعين المارة ترمقني بفضول ، ومررت بشيخ قد بكر الى مقهاه ، وما ان لمحني ذلك الشيخ المحنك حتى اخرج مبسم نارجيلة من فمه ، ومضى يحدق فيّ مستطلعاً مستغرباً ، فاضطررت الى أن اسرع . هوذا الفندق على بعد بضع خطوات ، فلأقفز نحو الباب ، ولأغب عن الأعين الفضولية .

سها ، خبريني بالله ، هل ترين فيّ ما يستوجب هذا الفضول ؟ ألست أمشي كما يمشي الناس ؟ ألست أقلد المجتمع وأتبع عاداته السخيفة بكل أمانة واخلاص ؟ ان عقلي ليحار ، فهل لك ان تفسري ما اشكل علي ، فلعلك ، وأنت ابنة هذا المجتمع البارة ، تقدرين وحدك على ذلك. أترين كيف اني أتحدث اليك باعمق ما يخالجني ، وما يدور في نفسي ، وبك وحدك أفكر عندما أخلو الى تأملاتي ؟ ان شعوري نحوك حينئذ يشبه شعور الطفل حين يتعب ويضيق بما يشكل على فكره ، فيلتجيء الى أمه الحنون .

ما أغرب كل ذلك يا سها ، ان هذا الشعور ليخالجني بالرغم من أني اعتقد بانك قد لا تترددين في قتلي أحياناً اذا ما أتيحت لك الفرصة . يخيل لي ان هذه الثقة فيك كامنة عندي في اعماق العقل الباطن .

أود ان اخبرك أيضاً باني قد بدأت اشعر تواً بشيء من التعاسة والألم لا أدري كنهها ولا مسبباتها ، حتى لتكاد الدموع تثب من عيني ، ها انذا وديع لطيف كالحمل . حتى أن من يعرفني حق المعرفة لينكرني ان ثمة ما يخز قلبي ألماً ، ويشعل نيراناً بين جوانحي ، وها انذا أضع وجهي بين يدي متكأ على مرفقي ، وسأغيب عما حوالي في حلم عميق ، تمتزج فيه اللذة بالألم ، قد أرسل لك هذه الرسالة ، مسجلة بالبريد حرصاً عليها ، او قد لا تصلك ، فقد أمزقها شر ممزق .

— ٥ —

عزيزتي سها

لو تنبأت بانك سترسلين لي هذا الكتاب الذي وصلني منك اخيراً ، لما خسرت ثمنه ، فقد اشتريته عند صدوره ، متوهماً اني سأجد فيه شيئا طريفا ، إذ قد سبقت بشهرة الكاتب، ولما قرأته لم اجد فيه شيئا من المعاني والآراء . لقد اعجبني نقد الكتاب ، اهو لك كل هذا النظر الدقيق ؟ والتحليل العميق ؟ اذن فقد اصبحت من المفكرين يا زوجتي ، عفوا ، اريد ان اقول يا فتاتي العزيزة . الكاتب كما قلت ، خيالي النزعة ، وربما كان من ذوي الميول الجنسية الشاذة الحادة ، أي نصف مريض ، واعتقد ان قصة مريض تعنيه بالذات ، وهي احسن ما في الكتاب ، بما تحويه من وصف صادق وتحليل عميق ، ولكن القارىء لا يخرج منها برأي . الكاتب كما يظهر لي ، قليل الذكاء ، لذلك جاء خياله مضطربا ، لا يعطي صورة واضحة ، عما يريد ان ينقل إلى القارىء . وهذا لعمري هو النقص بعينه !

سها ، سمعت خبراً ساءني جداً ، وارجو أن يكون عاريا عن الصحة ، ذلك ان عبدالحليم، صديقنا المفكر الشهير ، المعروف بصلابته ومتانة آرائه السياسية واخلاصه ، قد نكص تحت تأثير زوجته ، ثريا صديقتك الحميمة ، فقرر ان يتخلى عن كل ما لديه من مبادىء وآراء ، مقابل منصب عال ، لقد تمنيت ان يكون الخبر مجرد اشاعة ، وعندك الخبر اليقين ، فان ثريا لا تخفي عنك امراً . اما اذا كان الخبر صحيحا ، فوا اسفي ، إذ انك تعلمين

مبلغ احترامي لهذا الرجل وتقديري لجهاده الفكري والسياسي . فان كان قد رضي ان يصبح قزما مسخا لقاء هذا الثمن البخس ، فقد جنى على نفسه كثيرا ، وخيب أملي فيه . ترى لماذا تتلاشى كل الامور التي ارتاح لها في هذا البلد غير الامين ، اتراني سأجد نفسي ولا شيء يعجبني هنا وعند ذاك اين المفر ؟

قبلاتي الحارة ، وارجو ان استلم منك ما يخفف عني ألم الوحدة واللوعة .

سها -

تسلمت رسالتك الصغيرة طي الكتاب الصغير ، وسيكون جوابي مقتضبا ، فاني اليوم غارق في العمل ، وسوف يخلو كتابي من اللغو .

اشكر لك اهتمامك بارسال كل ما تستذوقين من كتب ادبية ، ولا اعلم كيف ملت الى الاعتقاد بان الكاتب يصفك في بعض ما كتب وانه ذو صلة بك ، فهل تعمدت ارسال هذا الكتاب لتلقي في نفسي مثل هذه الظنون ، ها قد بدأت اغار ، فيا للسخافة .

صحتي ليست على ما يرام . ولولا علمي بان المستشفى سيرفضني ، لدخلته متمارضا وارسلت اطلبك لتمريضي . عجلي باستئجار الدار وليكن كوخا ، فالمهم ان تكوني فيه وحدك بعيدة عن الخدم والحشم ، وغيرهم من الفضولين المضايقين . اكتبي لي عن كل ما يخالجك دون مواربة . خبريني فور استئجار الكوخ ، وسأختلق الاعذار لأترك عملي ، وآتيك طائراً .

— ٧ —

سها

اربعة ايام مرت على لقائنا الاخير ، شعرت فى آخرها باني قد مللتك من جديد ، فاحسست بفراغ مريع . واستولى عليّ الملل والسأم ، واصبحت اكثر من التثاؤب والتمطي والرغبة فى النوم وحب العزلة ، واشتد نفوري من الناس .

لقد جاء الكتيب الذي ارسلتيه في وقت الحاجة اليه تماما ، فالتهمته بنصف ساعة ، وتنبهت فيّ الميول الادبية ، وعندها هبت نفحة من هذه الميول فطارت الرماد عن الجمر الكامن تحته واشتعل لهيب حبي لك من جديد . اني لألمح من بين سطور الكتاب وجهاً مشرقاً وعينين تفيضان عطفاً ورقة ، وخيل لي وأنا اقرأ ، بان صوتاً عذباً ، صوتك ، هو الذي يتلو عليّ ما اقرأ وها انذا اتذكر آخر لقائنا ، والأوقات اللذيذة التي انقضت كالحلم ، فشعرت برغبة قاسية في رؤيتك ، وعدت لا أفكر إلا بك ، وأصبحت ، كالعادة ، مستعداً لأن أهب كل عمري لقاء ساعة بين احضانك واضعاً رأسي بين نهديك ، مصغياً لدقات قلبك الخفاق الذي يزخر بالحياة .

سها ، اراني اعترف دون استخفاف او خجل ، بل اني لأستسيغ هذا الاعتراف ، واستطيبه ، اذن فليستمر هذا الاعتراف وليتكامل . اذن فاعلمي بأن شبه ما ذكرت كان ينتابني طيلة معرفتي بك ، ولا يتركني إلا

أياماً معدودات ليعود أقوى وأشد ، لقد كانت هذه الرغبة تلهب في نفسي الشوق اليك والحنين الى لقياك ، فتقف لها كبريائي بالمرصاد ، ولا تلبث المعركة ان تنشب بين الطرفين المتناقضين .

لقد حدث يوماً ، وكنت أذوب شوقاً اليك ، ان انتصر الحب على الكبرياء فقال الحب : «أيتها الكبرياء الخبيثة لماذا تحيلين حياة هذا الرجل الى جحيم مستعر ، فتحرميه من تلك السويعات التي يشعر خلالها بالسعادة والهناء ، وما حجتك ؟ اني أعلم ما ستقولين ، عدم الأخلاص ، الكذب .. الى آخر ما لديك . ولكن كل هذا وهم باطل . ان فتاته صريحة ، وهي ليست بحاجة الى ماله ، ولو كانت تنشد المال لوجدت من هو أغنى منه كثيراً ، بل واكثر جاهاً وأعز نفراً ، وما أكثر من يطمع بمالها وبجمالها ، فالأمر واضح انه تحبه لشخصه . وهذا ما جعلها تتناسى دائماً صدوده وخشونة طباعه وشدة مراسه . » وأردت تلك الساعة ان اكتب اليك أطلب صفحاً واستغفر لنفسي عما سلف . ومددت يدي الى القلم ، فوقعت بالصدفة على مدية صغيرة أفتح بها رسائلي ، فتناولتها ، ومضيت اتمعن بها ، واعجبني ان أدنيها من صدري ، بل واضغط بها عليه حتى شعرت بوخز ذبابتها ، وتخيلتها تخترق صدري بمعدنها البارد فتشق قلبي ، وتخيلتني أتخبط بدمائي فلم يرق لي ذلك المنظر . فرميت المدية وتركت ما أزمعته . وأتت التعاسة والحزن بعد ذلك فاكملا المشهد .

اني أحن اليك الآن حنيناً شديداً ، أريد النظر في عينيك وتقبيل كل

جزء من اجزاء وجهك . اني لأشعر أحياناً برغبة شديدة في قضم بعض اجزاء وجهك ، بل فى التهام كل جسمك ، اني أتصور لو أستطيع ان آكلك وأهضم جسمك الصغير ، وأتمثله حتى يصبح قسماً من كياني . وقد أستطيب هذا الخيال الأحمق الوحشي الغريب ، وازداد اغراقاً فيه ، حتى أشعر بطعم لحمك بين اسناني ، وليس ذلك الطعم بغريب عليَّ كما تعلمين . .

— ٨ —

عزيزتي سها

هأنذا اشعر بالحاجة الى الكتابة اليك من جديد ، صحتي ليست على ما يرام ، ولعل ذلك هو السبب فيما ينتابني من آلام نفسانية نغصت عليّ عيشي ، وتركتني نهبة الضجر واليأس ، ان ما كل ما يحيط بي يزيد في هذا الشعور . أشعر باني منبوذ مهمل ، لا يعطف عليه انسان ، ولا يهتم بشأنه مخلوق ، انسان وحيد قد كتب عليه أن يعيش وحيداً يوم أن ولد ، وسوف لا يجد من يفهمه في هذه الدنيا الواسعة جداً .

كتبت لك قبل يومين ، اسأل عن صحتك ، بعد الوعكة التي ألمت بك ، فلم أتلق جواباً ، وانتظرت طويلادون جدوى ، وعاودتني الظنون السيئة ، وتصورتك أنانية خبيثة ، فزاد ذلك من يأسي ، حتى بلغت درجة التفكير بالانتحار . لماذا لا تكتبين لي ؟ لقد زاد اهتمامك بي في الآونة الأخيرة ، لسبب أجهله ، فلماذا لم يدم هذا الاهتمام ؟ وما سبب هـــذه القطيعة البغيضة ؟ كنت مريضاً مدنفاً بعلة لم أدرك كنهها ، هدت قواي ولم تترك فيّ قوة جسمية ولا عقلية .

قصدت رئيس دائرتي ، وطلبت منه ان ينقلني الى الفلوجة ، مقرك ، فتساءل عن السبب ، فاخبرته باني متزوج ، وليس في الأمكان نقل امرأتي الى محلي ، فابتسم الرجل ابتسامة خبير مطلع ، فتضايقت وهممت بالخروج من حضرته ، وكدت أفعل لولا أن تصورت ان الرجل لا بد ان يستسخفني ، لو فعلت ، ولربما رماني بالجنون .

قال الرجل بعد أن طالت ابتسامته « ولكن بلغني انك قد طلقت هذه

الزوجة » فكذبت الاشاعة باقتضاب فعاد الرجل يستفسر « قدم بذلك طلبا رسميا ، وأعدك باني سأبذل جهدي فى تحقيق طلبك » فصافحته شاكراً ، وخرجت وأنا أشعر بأن ابتسامة الرجل الماكرة ونظراته الغريبة ، تخزان قفاي وخزاً .

ترى ما معنى كل ذلك ؟ هأنذا أستجلي السبب ، فقد كشفت أمورنا الخاصة بين طبقتك من الوجهاء ، حتى أصبحنا قصة فى أفواههم ، فما أحمقك وأقساك .

— ٩ —

سهاي

لم أرك منذ اسبوعين ، وقد كنت أعتقد ، يوم صممت على الانقطاع عن زيارتك في الفلوجة ، بأن ذلك سوف لا يترك أثراً في عواطفي وطبعي وتفكيري ، ولكن خاب ظني ، وكم كان عجبي من النتيجة عظيما ، وقد تسألين عن الأسباب التي ولدت فيّ العزم على القطيعة النهائية ، وها هي ذي مكشوفة تماما .

لقد بدأت أشعر مؤخراً بالملل من جسمك الهامد ، الذي أشتعل مليا ثم خمد ، ومن تفكيرك الذي اجتاز مرحلة لا بأس بها ثم وقف عند حدّ ، من أطوارك التي تصبح حاذقة غريبة مثيرة عندما تحاولين اثارة انتباه من يعجبك ، ثم لا تلبث أن تغدو اعتيادية سخيفة الى حد الابتذال عندما تنتهين منه ، من مسكنك في هذه البلدة الميتة ، من التكرار الممل في القدوم اليك مع سائق سيارتك الذي أصبح يعرف كل أسرارنا تقريباً .

لست جاهلة مبلغ تمردي على المجتمع الجاهل ، على قوانينه الوضعية الحمقاء ، على عرفه الجامد البليد ، على فضائله التي يقدسها ، والتي لا أرى فيها إلا أرذل الرذائل ، فلو أردت أن تهجي أحد الناس أقذع الهجاء ، فما عليك إلا أن تصفيه بانه رجل يحترمه الناس لأنه فاضل في نظرهم يراعي العرف والتقاليد ولا يشذ عنها قيد شعرة .

ولو وجدت امرأة فاضلة بالشكل الذي يتوق اليه الناس ، لنفرت منها كل النفور ، حتى ولو كانت من أجمل النساء ومن أكثرهن جاذبية . لقد تبينت فيك يوماً بعض الجموح والتمرد على الأوضاع السيئة ، ولم شعر نحوك

بالحب العميق إلا في ذلك الحين . لقد توهمت انك امرأة قوية جبارة ، لا يقف عرف جامد ولا تقليـــد مبتذل بينها وبين حقها في التمتع بهذا الوجود . هذا الوجود القصير الأمد الذي لا يعلم المرأ متى ينتهي أمده وينطفىء مصباحه ، وان رجلا أياً كان ، لا يستطيع أن يستعبدك حتى ولو كنت أنا ذلك الرجل . ولم تستطع الانانيه او العزة الجاهلية ، ان تتغلب على عاطفة الأعجاب بك آنذاك . لقد ظهر ذلك الاعجاب كما تتذكرين ، باشكال ومظاهر شتى ، فهو تدله في الحب ، او غلمة جنسية ، وأشياء اخرى يصعب تعيينها او تسميتها . ولما أنقضي ذلك الدور ، ذهب السحر ، وذلك عندما ظهرت لي بحقيقتك ، امرأة كالنساء الاخريات فاضلة محترمة ، ولكن خيطاً من الشك بقي ، وأستمر يتــأرجح بين القوة والضعف ، فتتأرجح نفسي تبعـــاً لذلك بين الاعجاب والكره . ولم يخطر لي قط أن أحبك بالروح حباً مقدساً منزهاً عن الشوائب والدنايا ، وان مثل ذلك الحب لا يربطني بامرأة إلا كما يرتبط فيل بخيط عنكبوت . ان الحب كما أفهمه جنسي بحت يغذيه الاعجاب وتربطه الشهوات الجنسية ، فهو شيطاني كما يقول الفضلاء . ان المنافقون الفضلاء الذين يلعنون هذا الشيطان علناً ، يبحثون عنه سراً في بيوت الدعارة حيث يعبدونه ويقدمون له الذلة والخضوع ، ويسكبون دموع الندم على قدميه .

ولا أنكر بانني ما كنت مخلصاً لك وحدك ، فقد كان الى جانبك نساء كثيرات شاركنك فيّ بصورة شرعية وغير شرعية ، وقد كان ذلك يثير اساك وحنقك . ولكنك لو علمت نوع علاقتي بكل هاتيك النسوة ،

لأدركت بانك كنت وحدك في القمة ، وما سواك غير طيف بل سراب .

وقد تتساءلين عن سر تلك النوبات التي كنت أثور خلالها وأبتعد بسببها عنك ، وعن سر تلك الغيرة التي هي عنوان الفضيلة التي سخرت منها ، واليك الجواب :

اني كنت أغار من أن تكوني خادعة ، تظهرين في حقيقتك ، تتصنعين الصورة التي أحب ، وتتخلقين بالأخلاق التي أهوى . وقد كان ظني في محله ، لقد كان يعجبك مني ما يعجب أية امرأة في اي رجل مستكمل الرجولة ، وقد كان ذلك يثير حنقي فأثور تلك الثورات التي كنت تخافينها .

انك تخطئين ، كما يخطيء كل من يعرفني ، حين تظنين باني رجل قلب ، لا أصبر على امرأة واحدة ، كما لا يصبر المرء على طعام واحد ، ومظاهر حياتي كلها تشير الى ذلك . ولكنك وسواك لو تكلفتم قليلا مشقة التفكير فيما وراء المظاهر ، لعلمتم جميعاً بانكم مخطئون .

النساء في حياتي ، كما تعلمين جيداً ، قليلات ، بالقياس الى النساء في حياة اغلب الناس ، واني لم اعثر على امرأة استطيع ان استكين اليها ، حتى ولا انت ، لأن اسس تفكيركن مربوطة ربطاً قوياً بالتقاليد الميتة والاوضاع الشاذة التي تشعر الانسان بالهمود والفناء .

لقد توهمت يوم عرفتك لأول مرة باني قد سقطت على الظالة المنشود ، وسرعان ما تبدد هذا الوهم ، وحل محله اليقين المؤلم الكريه . لقد وجدت ان رغبتك في اكتساب مدح الناس واثارة اعجاب الرجال قد جعلك عبدة طيعة للخداع تسيرين وراء المظاهر وتتقنين النفاق حتى اصبحت على

رأس الكثيرات ، وصرت تقودين فرقة منهن ، ويوم نشبت الحرب بيننا كان كل جندك من هؤلاء الامازونيات .

هذا ما جعلك غير مهتمة بحقيقة شخصيتي ، لأنك ادركت مقدما ، بانك لو ارضيتني لفقدت جندك ، وانك لتفضلين الموت على ذلك .

اما وقد برح الخفاء ، واطلعت على كل ما يبعدني عنك او يقربني منك ، فأحب ان اخبرك بانني قد ضقت ذرعاً بكل هذا ، وارجو ان تساعديني على حل هذه العقدة .

والخلاصة اني ما زلت مولعاً بك ، وكلما ازددت بعداً عنك ازددت تعلقاً بك ، وكلما ازددت قرباً منك ازددت نفوراً وكراهية فأنا في الحالتين متعب شقي ، رغم عن كل ما فعلت وما سأفعل ، وان ذلك قد لا يؤذيني بقدر ما يؤذيك .

ان ما ينشب في اعماق نفسي من عواطف متناقضة قد جعلني موزعاً بين هذه العواطف ، فريسة للحرب الدائرة بينها ، فابعدتني عن الناس ودمغتني بطابع الشذوذ ، ولست إلا انسانا لا يستطيع ان يعيش وحيداً رغم كل ادعاءاتي وكبريائي . اذن فما العمل ؟ من الغريب انني اطلب منك حلا لا استطيع انا ان افكر به ، وما ذلك إلا حيلة العاجز . ولو كنت في مجتمع لا يعيب على الرجل الاتصال بالمرأة اتصالا حراً غير خاضع لعرف الزواج والشريعة والقوانين لكان للمشكلة حل دون شك ، ذلك ان تصبح العلاقة بيننا حرة في النمو او الضعف ، غير خاضعة لعوامل خارجية بعيدة عن الرغبة المطلقة في التفاهم الشخصي والتفاعل الذاتي المتبادل . فهي اما ان تقوى وتزدهر ، او تموت ، وهي في الحالة الاولى تنتهي بالزواج الصحيح ، وفي الحالة الثانية تنفصم دون معارك او خصام ، والسلام على من كره الحرب واحب السلام .

الخاتمة

انتهت الرسائل عند هذا الحد ، واعتقد ان القارىء قد خرج بنتيجة قد يعتبرها ناقصة . ولا بد ان يكون راغبا في معرفة المآل ، وقد يرى القارىء من حقه ان يعرف نتيجة العلاقة بين هذين ، الذكر والانثى ، ولقد ثار في نفسي الفضول نفسه فدفعني الى التقصي والتحري ، فكان اول ما فعلت ان يممت قاصداً دار السيدة الوجيهة الثرية بطلة هـذه القصة .

لقد كنت بالرغم عن شدة صلتي بصاحب الرسائل ، اجهل عمق العواطف التي تدور في نفسه ، لقد كنت انا وكل اصدقائه المقربين نعتبره بارداً لا يرى في المرأة إلا اداة لهو ، بعيداً عن الحب وعواقبه ، ولم تستطع حسناء ان تدعى بانها قد الانت تصلبه واخضعته ، فاذا به شعلة ، بل بركان تحت طبقة هائلة من الصخور ، يغلي دون أن تظهر للعيان مظاهر هذا الغليان وما يكمن فيه من قوى جبارة .

وأستقبلتني السيدة استقبالا حافلا ، بعد أن علمت القصد من زيارتي وقالت وهي تمد يداً مصبوغة الاظافر «تشرفنا يا استاذ ، ما كان لي شرف التعرف بك يوم كنت زوجة عارف ، مع حرصه على تقديم كل اصدقائه لي . واعتقد انك ما كنت شديد الصلة به آنذاك والا لعلمت شيئاً عن هذه الرسائل قبلا . »

ورأيت في نظرات المرأة شيئاً غير اعتيادي ، شيئاً جريئاً يحرك الرجل وكانت في جلستها ، وفي السكارة بين اناملها ، وفي ابتساماتها ، وحركاتها ، ما يجبر الانسان على الاهتمام ، بل ويمنيه باشياء .

قلت لها باني سأجعل من هذه الرسائل قصة ، فهل لديها اعتراض على ذلك . فقالت : « بالعكس ، وهذا ما حدا بي الى ارجاع الرسائل اليه عند علمي برغبته في اهدائها اليك ، وان أردت معلومات اخرى ، فأنا رهن أشارتك . »

ـ « أين عارف ؟ وما هي علاقتك به الآن ؟ »

لا يعلم أحد مقره ، ويكون قد ترك العراق الى غير رجعة ، فلا بد ان تكون قد علمت من رسائله مبلغ ضيقه بالجو الأجتماعي ، أما علاقتي به فهي علاقة الصديق بالصديق ، لقد انتهينا الى الطلاق كما أراد ، وقد جرب الزواج قبل الطلاق وبعده ، وما انقطعت علاقة الصداقة بيننا ، لقد كنت صديقته المفضلة في كل الأحوال . »

ـ « انه لخصوص بهذه الصداقة ، وكان عليه ألا يشكو . »

فأجابت وهي تضحك بغنج : « انه يطمع بأكثر من ذلك أحيانا ، انه شيطان عندما يثور الرجل في اعماقه ، لست أستطيع ان أكون زوجة في حريم . »

ـ « هل أنجب اطفالا ؟ »

ـ « أما مني فلا ، وله ولد من احدى زوجاته ، وأولد اخرى فتاة لها شذوذ أبيها وجنونه . »

ـ « هل لي ان اتجاسر فاسأل هل تزوجت سيدتي بعد عارف ؟ وهل تنوي الزواج ؟ »

فابتسمت واجابت : « اتراك خاطبا أنت ايضا ؟ الغريب ان عارف قد جعلني هدف الكثير من طلاب الزواج ، ولكنني زاهدة في الرجال ، والحقيقة اني احب امثال عارف . ولكن استمرار العلاقة بهذا النوع من الرجال مستحيلة . »

وأضافت بعد أن سحبت نفساً طويلا من دخينتها ، وهي تشير الى كتيب على المنضدة « اقرأت قصة منى الجديدة ، انها اختي ، ان لها دوراً في الرسائل ، انها مبتدئة دون شك ، ولكنها تدعى العبقرية شأنها شأن كل مبتدىء ، ان لديها قصصاً جميله ولكنها تخاف من نشرها ، انها فتاة وانت تعرف قساوة المجتمع . »

ـ « الحقيقة اني ارى في هذه القصة مجموعة هذيان ، وارجو ألا اسيء الى منى بهذا ؟ »

« هذا رأى عارف بكل ما تكتب منى لقد نصحها بأن تقرأ قصصك . لقد كان معجباً بك كثيراً ، ولكنه كان يعيب عليك ان تحبس نفسك في نطاق الأدب السياسي الضيق . »

« ارى انه قد مهد السبيل لي لكي اخرج من هذا النطاق ، واني لأشكركما من صميم فؤادي . »

ونهضت مستأذناً ، فقالت مودعة : « اراك على عجل ، انك تجدني متى اردت ، اني اتوق الى صداقتك ، اذا كنت لا ترى في هذه الصداقة ما يشين ، وتعتقد بانها يمكن ان تكون بريئة خالصة تماما بين الرجل

والمرأة   ارجو ألا تكون على شاكلة عارف من هذه الناحيـــة على الأقل ؟ »

فكررت شكري وترحيبي بتلك الصداقة ، واكدت لها بأنني لست على شاكلة عارف على الرغم من اعجابي بشعره وفلسفته ، والحقيقة اني لا استطيع ان اكون على شاكلته .

تمت   فينا ٣/١١/١٩٥٥

آثار المؤلف

المجموعة الاولى	:	رسل الثقافة « طبعتان »
« الثانية	:	الضحايا
« الثالثة	:	صديقي
« الرابعة	:	وحي الفن
« الخامسة	:	الكادحون
« السادسة	:	برج بابل
« السابعة	:	العقل في محنته
« الثامنة	:	حميات
« التاسعة	:	الكارثة الشامله
« العاشرة	:	عظمة فارغة
« الحادية عشرة	:	قلوب ظمأى
« الثانية عشرة	:	صور شتى
الدكتور ابراهيم	:	قصة
اليد والارض والماء	:	قصة
الآباء والبنون	:	لترجنيف ترجمة المؤلف والدكتور اكرم فاضل

سيعاد طبع هذه المجاميع والقصص قريباً لنفادها

للمؤلف

يصدر هذا الاسبوع

قصص من فينا

المجموعة الثالثة عشرة

تحت الطبع

اسد الفلاندر قصة مترجمة عن الالمانية

بقلم ذو النون ايوب

مختارات ذي النون

آراء في الأدب والاجتماع

الغلاف من تصميم الاستاذ فرج عبو


ثمن النسخة (٨٠) فلساً